حفظ اللغة العربية ووحدة لهجاتها

للأستاذ محمد طه النمر

مدير الادارة الثقافية
(جامعة الدول العربية)

1 ـ لا شك ان هناك ارتباطا بين انتشار الاسلام وانتشار اللغة العربية ، ولكن هذا الارتباط لا يصل الى الحد القائل بانه لولا انتشار الاسلام لما تأتى للغة العربية أن تنتشر فى العالم ولا الى الحد القائل بانه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرءان لما انتشر الاسلام،ذلك أن القرآن هو كتاب الله الذي انزله على رسوله ليبين ما قصد اليه الاسلام من عبادة الله وحده والايمان بالآخرة والنشر والحساب ومجازاة المؤمن ومعاقبة الكافر ونظام العبادة والفرائض والتحليل والتحريم واحكام الزواج والطلاق والميراث والوصية والاسترقاق والعتق والمداينة والرهن وغير ذلك مما تقتضيه مصالح الناس فى الدنيا على اختلاف الزمان والمكان ، فهو **مرجع للاسلام والمسلمين** يقرأونه ويتفهمونه ويتعبدون به فى كل بلد اسلامي ، وهو يحمل فى طياته أسباب البقاء باعتباره منزلا من عند الله لا باعتباره مصوغا باللغة العربية ، قال الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . فالاسلام غزا بقاع العالم التي لا تعرف العربية ودخل فى الاسلام أناس لا يتكلمون اللغة العربية من الانجليز والامريكيين والروس والهنود والصينيين وغيرهم ، فهو فى غير حاجة لانتشاره الى اللغة العربية تجذبه وراءها فى طياتها ولكنه يغزو القلوب بما اودع فيه من حكمة أو موعظة حسنة أو آداب عالية لا يختلف فى تقديرها ذوو الفطرة السليمة ، وبما ساق من عبر بسرد قصص الطغاة وعواقب البغاة ، وبما حوى من استدلال عقلي على قدرة الله ووجوده وعلى وجوب الاقرار بوحدانيته ، وبما هدى الى مكارم الاخلاق وشرع لحقوق الاسرة والامة .

والآثار التي عادت على اللغة العربية من نزول القرءان بها يمكن اجمالها فيما يأتي :

1 ـ **حفظها من الانقراض** كما حدث لغيرها من اللغات الاثرية القديمة .

2 ـ **توحيد لهجاتها فى اللهجة العذبة** التي نتحدث بها الآن .

3 ـ التوسع فى استعمال بعض الالفاظ العربية لتتسع للمعاني الدينية .

4 ـ محاكاة أساليبه الرائعة فى الحديث والخطابة والكتابة والشعر .

5 ـ **احداثه لكثير من العلوم اللغوية والشرعية مما** اعطى اللغة العربية ثروة عظيمة من الاصطلاحات والاساليب الفنية .

على ان هذا لا يمنع من ان يقبل على اللغة العربية من عمر قلبه بالايمان بغية التعمق فى معرفة اسرار الاسلام والاستزادة من آدابه واحكامه ، فيكون النمو الاسلامي فى هذه الحالة راسيا قصد به التعمق فى الدين لا افقيا لنشر الاسلام والاستكثار من المسلمين .

2 ـ أما الشق الآخر من السؤال الذي يسأل عن مدى تأثر الوعي الاسلامي والوازع الديني باللغة العربية فيقويان بقوتها ويضعفان بضعفها ، فأرى ان **هذا التاثير غير مطرد** بدليل ان اللغة العربية في عصر المماليك عندما كانت فى منتهى الضعف وجمدت قرائح الشعراء والكتاب لاعجمية الولاة والحكام فى الوقت الذي ساد الاهتمام بالدين والتاليف فيه وانتشر بناء المساجد وعلت قبابها وضربت مآذنها فى كبد السماء ترجع التكبير والابتهال .

3 ـ وليس من شك فى ان الفكر الاسلامي قد أثر عن طريق لغة القرآن فى اللهجات واللغات الاقليمية فى الاقطار الاسلامية غير العربية وفي الجاليات الاسلامية فى الاقطار الغربية والاسيوية ، ولكنه تأثير ضئيل جدا لا يتعدى ما تتطلبه العبادة او يحتاج الى التدليل به العلماء والمؤلفون فى هذه الاقطار أو عند هذه الجاليات فى مؤلفاتهم عند شرح خطة او تقرير مذهب .

4 ـ اما لهجتنا الاقليمية فقد اثرت تأثيرا ضئيلا ـ بما انحدر اليها من كلمات مصرية قديمة او كلمات اغريقية او نحوهما مما ادى اليه اختلاط المصريين بالاجانب ـ فى تعبيراتنا العربية .

5 ـ واما المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية فى بلادنا بالنسبة للغات الاجنبية فهي المكانة التي تجب **للغة الوطن من السمو والسيادة** وتسمح للغة الاجنبية بالعيش فى ظلالها بالقدر الذي يكفي للتفاهم مع الاجانب ويجعل منها نافذة للاطلاع على معارفهم وثقافتهم .

واني ـ اذ أرجو ان اكون الى جانب الصواب فيما أبديت من راي ـ اقدم لسيادتكم موفور التحية والاحترام ....